

رخام المنطقة العسكرية: نجوى تجنح به من حيّ الزهور إلى الأسواق العالمية حتى زمن الكورونا

جيهان ناصري



رخام المنطقة العسكرية: نجوى تجنح به من حيّ الزهور إلى الأسواق العالمية حتى زمن الكورونا

كلّ الأزمّة لها. لا تنتظرُ شروقَ الشمس ولا تهابُ غروبها. تنطلق كلّمًا نادى المنادي حيّ على العمل . من وسط مدينة القصيرين إلى منطقة الحازة الحدودية وعلى مسافة 60 كيلومترا تقضي نجوى المرأة الأربعينية وقتها في الطريق أو تجدها تُشرف على عمّلتها السّت بمقاطع الرّخام التي تمسح حوالي 27 هكتارا بالقرب من سفح جبل السّيف الذي تحدّه مدينة فوسانة شرقًا والقطر الجزائري جنوبا وغربًا.

في نفس المكان، عمليّتان إرهابيّتان كان آخرها عملية أمنية تم القيام بها يوم 20 أكتوبر 2019، و نجوى تواصل عملها في مشروع استخراج الحجارة الرّخامية بإصرار نشأت عليه منذ الصّغر.

إصرارٌ جاء من حبها للأعمال الحرّة الذي اكتسبته من والدها ما دفعها للعمل في مجالات عديدة على غرار قطاع الملابس المستعملة، قبل أن تتعرّض إلى حادث شغل ألزمها المكوث في البيت لمدة سنتين والانقطاع عن الحياة المهنية، لتستجمع قواها وتنطلق في الاستثمار في قطاع الرّخام. تقول نجوى: " تعوّدت على مرافقة أبي منذ نعومة أظفري...تعلمتُ منه الكثير... وحتى ما كان يُنظرُ إليه على أنه حكرٌ على الرجال أكسبني إياه منذ الصّغر...نشأتُ على حبّ العمل والتّحدي... وإرادة الوصول إلى ما هو ليس مُتاحٌ للجميع."

ويعتبر قطاع الرّخام ثروة من ثروات ولاية القصيرين الموجود أساسا في معتمديات شمال الولاية وغربها على غرار تالة وجدليان وفوسانة ويشغّل أكثر من ألف عامل. ويتميز رخام فوسانة الذي تشتغل عليه نجوى بأنه من أجود أنواع الرخام في العالم وهو معدّ فقط للتصدير ومعروف عالميا باسم gris Foussana الذي يتراوح سعر المتر مربع منه بين 80 و 110 أورو اي ما يعادل 240 و 330 دينار بالعملة التونسية.

بدأت نجوى في هذا القطاع منذ سنة 2012 من الصفر، فهي لم تتلقى أي تكوين كما صرحت " ولم تقم بتابع دراسة عند دخولها لهذا المجال" واصفة نفسها بعصامية التكوين "وأن نجاحها ماهولا بفضل حب هذا القطاع و"الموهبة" التي منحها الله إياها". وهو ما لاحظته فيها والدها الذي اضطر في ذلك الوقت إلى بيع سيارته التي تعني له الكثير ليُساعد نجوى على الانطلاق في مشروعها الخاص وهي ابنة منطقة شعبية معروفة بانتشار البطالة في صفوف أبنائها . بطالة وصلت إلى حدود 24 بالمائة بولاية القصيرين خلال الثلاثية الأخيرة لسنة 2019، حسب آخر احصائيات الإدارة الجهوية للتكوين والتشغيل بالقصيرين للثلاثة أشهر الأولى سنة 2020 ، بين منتظر لتشغيل من الدولة وباحث دائم عن مورد رزق كانت نجوى من ضمنهم.

تنزل نجوى بزى العمل الملطّخ بالأوحال في حفرة يصل عمقها إلى 30 مترا وقطرها حوالي 150 مترا، قد تم استخراج قوالب الحجارة الرخامية منها، ليعيد فريق العمل ردمها إثر ذلك وإعادتها إلى وضعها المعتاد والانتقال إلى جزء آخر للبحث فيه واستخراج المادة وتحضيرها وتصديرها إلى الخارج على غرار إيطاليا، أمريكا ولبنان .

لا أقبل العمل خارج القانون والأرض أمانة

Commented [P2]: subtitle

وتعد عملية استخراج الرخام من أصعب العمليات وأدقها حيث يتم التنقيب عن صخور الرخام في الحفرة العميقة واستخراجها بواسطة الآلات الكاسحة وتكديسها. تقول نجوى "إن إعادة ردم هذه الحفر موجود بكراس الشروط ومن لم يلتزم بذلك يعاقب بخطايا مالية". وعلى الرغم من ذلك، تلاحظ نجوى "أن أغلب المستثمرين لم يطبقوا هذا الاجراء وهو عمل غير قانوني اختارت عدم انتهاجه وأن تعيد في كل مرة، الأرض على هيئتها لاستغلالها في مشاريع فلاحية على غرار غراسة الزيتون والتفاح وتربية الماشية.

يتم استخراج الحجارة الرخامية بهذه الطريقة حفاظا على الوضع البيئي وحماية للأرض بحكم أنها خصبة في مقطع من بين 56 مقطع بولاية القصرين، حسب ما أكده مدير المنطقة الصناعية طريق تالة القصرين ونّاس ميساوي. الميساوي أفاد أيضا أن هذه المقاطع منها 5 فقط قانونية حيث شهد هذا المجال انحدارا منذ سنة 2013 بسبب ما وصفه بالفوضى العارمة، إضافة إلى عدم وضوح الافاق فيه على عكس ما هو ظاهر بأنه قطاع واعد، إذ يشهد البعث العقاري أكبر أزمة مالية بنسبة ديون لدى البنوك وصلت إلى حوالي 5 الاف و 600 مليار.

استطاعت نجوى أن تأني بنفسها عن هذه الإشكاليات والاهتزازات التي عرفها القطاع، مؤكدة أن هناك عديد الصعوبات التي تعرّضت لها مثل أي سيد أو سيدة أعمال لكن روح التحدي التي اكتسبتها وجبها لعملها ولهذا القطاع بالذات، جعلها تتجاوزها بتحمل للمسؤولية والالتزام مع جميع الأطراف، خاصة أن منتوجاتها معدة للتصدير. وواصلت نجوى عملها خلال جائحة الكورونا بتنقلها وإشرافها على فريق عملها الذي يعمل على الميدان وبعيد نسبيا عن مناطق انتشار الوباء ، على عكس مصانع التحويل التي كانت مهددة عمالها بالوباء وتعيش بطبيعتها صعوبات كبيرة بسبب آلتها البدائية وعدم ارتقاء منتوجها إلى المواصفات العالمية ما يهدد أغلبها بالغلاق والإفلاس.

و من رحم جهة تنذيل مستوى الترتيب التنموي على المستوى الوطني، إلى رحم أرضها التي تنبت رخاما، استطاعت نجوى النجاح رغم سنتي الانقطاع على العالم الخارجي لتكتسحه عريبا ودوليا.